دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نظرية النظم النحوي
المصدر:	مجلة كلية الشريعة واللغة العربية - أبها - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية
المؤلف الرئيسي:	الجنابي، أحمد نصيف جاسم
المجلد/العدد:	ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1978
الصفحات:	289 - 312
رقم MD:	157994
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, IslamicInfo
مواضيع:	نحو القرآن، اللغة العربية، النحو، الاعجاز اللغوي، عبدالقاهر الجرجاني ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن ، ت. 471 هـ.، الإعراب، معاني القرآن، الإعجاز اللغوي، المبتدأ و الخبر، النعت و المنعوت، النحاة العرب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/157994

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

نظرية النظم النحوي

للدكتور : أحمد نصيف الجنابي
كلية الآداب - الجامعة المستنصرية
بغداد

المدخل إلى النظرية

عرفت « نظرية النظم النحوي » بعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، وبها اشتهر كتابه « دلائل الاعجاز » الذي بسط فيه هذه النظرية ، ولم تشتهر كتبه الأخرى لا سيما النحوية ، ككتاب المقتصد في النحو وكتاب العوامل المائة ، مثلما اشتهر « الدلائل » .

أما النحاة الذين جاءوا بعده فلم يزيدوا على هذه النظرية شيئا ذابال ، بل إنهم لم يدركوا أبعاد تلك النظرية العملاقة التى تشمل اللغة كلها ولاسيما الجانب الأسلوبي الذي تفتقر إليه المؤلفات اللغوية قبل عبد القاهر الجرجاني ، إلا في حالات نادرة .

أما في العصر الحديث فقد التفت إليها مجموعة من اللغويين والنقاد ، منهم : الأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي في كتابه : : « عبد القاهر الجرجاني » وإن كان الرجل ناقلا وشارحا أكثر منه باحثا مكتشفا . وتناولها الدكتور محمد مندور » في الميزان الجديد » فأبرز الجانب اللغوي في هذه النظرية وجعل عبد القاهر في صف أعظم اللغويين المحدثين معاصرة ، وتحدث عنها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه « عبد القاهر الجرجاني » حديث الافاضة .

ولكن أعمق من تناول نظرية النظم ، وكشف عن كثير من جوانبها المتصلة بالنظرية العامة والمصطلحات والأساليب ، هو الأستاذ الدكتور تمام حسان ، في كتابه القيم « اللغة العربية ، معناها ومبناها » .

وقد تناولها بالدرس والتحليل غير هؤلاء ، ولكل جهده المشكور .

وأهم شيء نخلص إليه من هذه الكتب كلها أنها أجمعت أن صاحب النظرية هو « عبد القاهر » وأنه غير مسبق بها ولا بجزء منها .

ولي وجهة نظر تخالف هؤلاء جميعا « ولكل وجهة هو موليها » . والناس يختلفون ما داموا يفكرون .

فقد وجدت أن عبدالقاهر مسبوق بهذه النظرية في الجانب النحوي المتصل بالاساليب ، الخاص بموضوع « الفصل والوصل » أو ما يسمى - عند القراء - بالوقف والابتداء (أو القطع والائتناف) وقد عدل عبد القاهر عن مصطلح البلاغيين - وهو منهم - في اثناء بحثه موضوع « الفصل والوصل » في الدلائل إلى مصطلح القراء . وهذه القرينة إحدى حججي في إثبات ما يدل على أن صاحب » الدلائل » مسبوقبالجزء الذي أوضحته ، من نظرية النظم .

هذا ما سأبينه في أقسام البحث الثلاثة الاتية :

القسم الأول

من صاحب نظرية النظم قبل عبد القاهر ؟

صاحب هذه النظرية هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المعروف بالنحاس (المتوفي ٣٣٨ هـ) .

ولد بمصر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من عائلة كانت تعمل بالنحاس .

ولم تحدد مصادر حياته سنة ميلاده ، ويمكن أن نقترب من ذلك التاريخ بالطريقة الاتية :

لقد كان أول أساتذته موتا هو بكر بن سهل الدمياطي (ت ٢٨٩ هـ) .

فاذا كان طلب العلم يبدأ في السادسة عشرة في ذلك العصر . فيمكن طرح السنة الأخيرة من (٢٨٩) فيصبح الباقي (٢٧٣) ، وهي السنة التي ولد فيها النحاس تقريبا لا تحديدا .

وبناء على هذه يمكن إيجاد سنوات العمر التي عاشها وهي تساوي : ٣٣٨ - ٢٧٣ = ٦٥ . .

ومعني هذا أنه عاش عمرا وسطا يشبه أعمار الأنبياء ولم يمت شابا ، ولا هرما بالرغم من أنه ألقي في النيل بمؤامرة دبرها له الحكم الذي كان قائما وقتئذ وإني أرفض الرواية المعروفة في مصادر حياته الزاعمة أنه كان يقطع أبياتاً من الشعر فرماه رجل في النيل لأنه اعتقد أنه يسحر النيل ليقل ماؤه (١) ومما يعضد ما ذهبت إليه أن الحادثة تكررت مع عالم آخر رُمي في النيل في آخر القرن الرابع الهجري .

وهذا يدل على أن هذه الوسيلة كانت مُتَّبعَة في ذلك العصر لاغتيال العلماء الذين يرفضون الخنوع والاستخذاء ! ! .

ويمكن تقسم حياة النحاس إلى المراحل الاتية :

المرحلة الأولى : وتمتد من سنة ٢٨٧ - ٢٧٨ هـ مرحلة الطفولة والصبوة .

المرحلة الثانية : وتمتد من سنة ٢٨٧ - ٣٠٠ هـ وتمثل مرحلة طلب العلم في مصر وفلسطين والعراق وهي مرحلة الشباب في الحياة والفكر .

أ - في مصر :

ومن الطبيعي أن يبدأ رحلته العلمية في بلاده . وأول أساتذته فيها : « بكر بن سهل الدمياطي » ، وقد نقل عنه النحاس في كتابه : « الناسخ والمنسوخ في القرآن » ، كثيرا . (٢) .

وأستاذه هذا محدث ، ومفسر ، ومقرىء (٣) .

وفي مصر أخذ قراءة « ورش » (٤) ، عن أبي بكر عبد الله بن مالك التُجِيْبِيّ (ت ٣٠٧ هـ (٥) .

وأخذ العلوم اللغوية والنحوية عن « محمد بن ولاد » (ت ٢٨٩ هـ) وقد ذكره في « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » (٦) .

---

(١) إنباه الرواة ١ / ١٠٢ .

(٢) الناسخ والمنسوخ ٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦ . . الخ .

(٣) طبقات القراء ١ / ١٧٨ وحسن المحاضرة ١ / ٣٦٧ وطبقات المفسرين ١ / ١١٧ .

(٤) ورش هو عثمان بن سعيد المصري المتوفي ١٩٧ هـ - رأس المدرسة المصرية في القراءات ، وأشهر تلاميذه « نافع » أحد القراء السبعة .

(٥) طبقات القراء ١ / ٤٤٥ .

(٦) إعراب القرآن لوحة ٨ : أ وشرح القصائد التسع ٣٠٤ .

والتقى بالأخفش الصغير : على بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) بعد ما جاء إلى مصر سنة ٢٨٧ هـ ، وقد أخذ عنه وذكره في جل كتبه الموجودة .

كما أخذ عن غير هؤلاء . .

ب - في فلسطين :

في مدينة « اللد » التقى بالامام : أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر المعروف بالداجوني الكبير (ت ٣٢٤ هـ) ، وهو صاحب كتاب في القراءات ضمنه قراءة أحد عشر مقرئا (١) ، فأخذ عنه القراءات .

جـ - في العراق :

أما في العراق فالتقى بأشهر أساتذته وأبعدهم أثرا في حياته العلمية وفي مناحي تفكيره : أبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، وابن كيسان النحوي (ت ٣٢٠ هـ) . وقد روي عنهما في كتبه اللغوية والنحوية ، ومدحهما مدحا دَلّ على قدرهما الكبير عنده فقال : « إنهما أجَلُّ من رأى من النحويين » (٢) .

وقد أخذ عن غير هؤلاء ولكننا أعرضنا عن ذكرهم اختصارا . واكتفاء بالأهم .

المرحلة الثالثة :

وتمتد من سنة ٣٠١ - ٣٣٨ هـ وهي مرحلة العطاء . وقد قضاها في التدريس والتأليف ، إذ صنف ما يزيد على عشرين كتابا في اللغة والنحو والتفسير والفقه والحديث .

وأهم مؤلفاته وأشهرها وأكثرها تأثيرا في الدراسات اللغوية والنحوية :

١ - إعراب القرآن (مخطوط) .

٢ - شرح القصائد التسع المشهورات . طبع ببغداد سنة ١٩٧٣ بتحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر .

٣ - القطع والائتناف (مخطوط) .

---

(١) لطائف الاشارات ١ / ٨٦ .شارات ١ / ٨٦ .

(٢) في رسالته : إعراب قول سيبويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية (مخطوط) .

٤ - معاني القرآن (مخطوط) .

٥ - الناسخ والمنسوخ في القرآن . طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

أما أهم تلامذته فهم :

١ - فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن قاسم المعروف بالكزني (ت ٣٣٥ هـ) من أهل الأندلس رحل إلى المشرق فسمع النحاس (١) .

٢ - ومن أظهرهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) ، وقد سمع منه وله معه حادثة مشهورة (٢) .

٣ - محمد بن يحيى بن عبد السلام الرَّباحيّ (ت ٣٥٨ هـ) من أهل الأندلس رحل إلى مصر فلقي النحاس وحمل عنه كتاب سيبويه رواية ، وحدث بكتبه : « الكافي في النحو » و « المقنع في اختلاف البصر بين والكوفيين » ، و « صناعة الكتاب » و « الاشتقاق » (٣) .

٤ - محمد بن مفرح بن عبد الله المعَافريّ القرطبى (ت ٣٧١ هـ) لقي أبا جعفر النحاس فروى عنه كتبه : إعراب القرآن ، ومعاني القرآن والناسخ والمنسوخ وهو أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس (٤) .

ويبدوا أن جل تلامذة النحاس من أهل الأندلس .

٥ - وأشهر تلامذته المصريين أبو بكر محمد بن على بن محمد الأُدْفُوِي الذي لأزم النحاس وروى عنه كتبه . وعن الأدفوي نقل بعضها إلى الاندلس . وكان الأدفوي نحويا ومقرئا ، (٥) توفى بمصر سنة ٣٨٨ هـ .

---

(١) بغية الملتمس : ٤٢٩ .

(٢) بغية الملتمس : ٤٥٠ وتاريخ علماء الأندلس ٢ / ١٤٢ .

(٣) تاريخ عماء الأندلس ٢ / ٦٩ وفهرسة ابن خير : ٣٨٦ .

(٤) تاريخ علماء الأندلس٢ / ٨١ .

(٥) إنباه الرواه ٣ / ١٨٦والبغية ١ / ١٨٩ وطبقاء القراء ٢ / ١٩٨ .

القسم الثانى

نظرية النظم عند النحاس

وقد بسط النحاس نظريته في كتاب « القطع والائتناف في القرآن » ، أي : الوقف والابتداء وقسمه أربعة أقسام .

١ - وقف التام .

٢ - الوقف الكافي .

٣ - الوقف الصالح . ويسمى « الوقف الحسن » أيضا .

٤ - الوقف الممتنع . ويسميه بعض العلماء : « الوقف القبيح » (١) .

فالوقف التام :

هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده به ، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن وأكثر ما يكون موجودا في الفواصل ورؤوس الآي ، كقوله تعالى : « وأولئك هم المفلحون » (البقرة : ٥) ، والابتداء بقوله « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (البقرة : ٦) وكذلك : « ولو ألقى معاذيره » (القيامة : ١٥) ، والابتداء بقوله : « لا تحرك به لسانك » (القيامة : ١٦) . وكذلك : « وجعلوا أعزة أهلها أذلة » هذا هو التام لأنه انقضاء كلام «بلقيس » ثم قال عز وجل : « وكذلك يفعلون » (النمل : ٣٤) .

---

(١) الداني : المكتفي في الوقف والابتداء ، ورقة ٧

أما الوقف الكافي :

فهو الذي يحسن الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ . وذلك نحو الوقف على قوله : « حرمت عليكم أمهاتكم » (النساء : ٢٣) . والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها . وكذلك الوقف على قوله : « اليوم أحل لكم الطيبات » (المائدة : ٥) ، والابتداء بما بعد ذلك ، لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض . وكذلك الوقف على الفواصل في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق .

أما الوقف الحسن :

فهو الذين يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعا . وذلك نحو قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم » (الفاتحة : ١ - ٢) ، الوقف على ذلك كله وشبهه حسن ، لأن المراد مفهوم والابتداء بقوله : « رب العالمين » ، و « الرحمن الرحيم ، و « مالك يوم الدين » لا يحسن لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله ويسمى هذ الضرب صالحا إذ لا يلزم القاريء أن يقف في كل موضع على تام ولا كاف لأن نفسه ينقطع دون ذلك .

أما الموقف القبيح :

فهو الذي لا يعرف المراد منه ، وذلك نحو الوقف على « بسم » و « مالك » والابتداء بقوله : « الله » و « يوم الدين » ، من سورة الفاتحة لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف .

وأقبح من هذا النوع الوقف على قوله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا » (ال عمران : ١٨١) ، والابتداء بما بعد ذلك من قوله : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .

ومن انقطع نفسه على ذلك وجب عليه أن يرجع الى ما قبله ويصل الكلام بعضه ببعض فان لم يفعل أثم وكان ذلك من الخطأ العظيم . (١) .

---

(١) ملخص من كتاب « المكتفى في الوقف والابتداء » لابي عمرو الداني ورقة ٧ : ب - ٩ : ب .

والذي لفت نظري أن منهج النحاس في كتاب « القطع والائتناف » وموقفه من المسائل النحوية والوجوه الاعرابية ، وطريقة تعاملها معها تختلف عما في كتبه الأخرى الباقية . لأنه أعطى السياق القرآني ومعانيه صورة واحدة هي أفضل من سواها ، وهذا السايق هو العلاقة النحوية والرابطة اللغوية بين أجزاء الجملة القرآنية مرتبطة بالمعنى العام ارتباطا وثيقا حيث يلتزم القاريء بهذه العلاقة فيقف وقفا تاما في حالة واحدة ، في الموضع الذي يتم فيه المعنى وتتصل أجزاء الجملة ، فاذا تعدى القاريء هذه الموضع دون أن يقف أو وقف على ماقبله ، فقد ارتكب الخطأ وجاوز منطق الصواب .

لكنه لهج في كتابيه : « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » بالاحتمالات النحوية والوجوه الاعرابية وجعل لكل وجه علة في الصواب .

فكلمة « هدى » في قوله تعالي : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (البقرة : ٢) ، فيها ثمانية أوجه من الاعراب : (تكون في موضع رفع خبرا عن ذلك ، وعلى إضمار مبتدأ ، وعلى أن تكون خبرا بعد خبر ، وعلى أن تكون رفعا بالابتداء . فهذه أربعة أوجه في الرفع . . وتكون على وجه خامس هو أن تكون ردا على موضع « لا ريب فيه » أي : حق هدى . وتكون نصبا على الحال من ذلك . وتكون حالا من الكتاب ، وتكون حالا من الهاء) (١) .

أما الآراء والوجوه الاعرابية في كتاب « القطع والائتناف » فهي تخضع للمفاضلة وليست موضع احتمالات تتساوى فيها الوجوه الاعرابية بالصحة ، بل هناك حالة واحدة يصح معها المعنى التام ويقف عندها القاريء أو المتكلم وقفا تاما ، وهي الحالة التي تتصل فيها أجزاء الجملة اتصالا كليا بالمعنى وتنقطع عما بعدها انقطاعا كليا . أما الجواز فلا يكون في حالة تتساوى مع حالة الوقف التام بل تتي بعدها وهى حالة الوقف الكافي أو الصالح ، وقد لا تكون هذه ولا تلك بل حالة أخرى يمتنع معها الوقف امتناعا كليا .

---

(١) إعراب القرآن لوحة ٣ : ب وسنظر المرجع نفسه لوحة ٢ ب ، ومواضع أخرى من الكتاب .

الغاية من النظرية

وإذا كان لكل نظرية أو قضية غاية يتوخاها العالم فان غاية هذا الفن وهذا العلم : « علم الوقف والابتداء » هي « التفريق بين المعاني » والعصمة من الخطأ والبعد عن الخلط بين المعاني المختلفة . فالقاريء إذا وقف على الآية : فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » (١) كان المعنى أنها حرمت عليهم هذه المدة . وإذا وقف على « فانها محرمة عليهم » كان المعنى أنها محرمة عليهم أبدا ، وأنهم يتيهون أربعين سنة) (٢) . وعند نهاية الآية الكريمة : « وإنْ من شيء إلا عندنا خزائنة وما ننزله إلا بقدر معلوم » (سورة الحجر آية ٢١) ، وكذا الآيات التي بعدها إلى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » . ويروى عن نافر » (٣) أن الوقف التام عند الآية ٤٧ من السورة نفسها : « ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍ » ووافقه على ذلك العباس بن الفضل (٤) وخولفا في ذلك لأن إخواناً منصوب على الحال مما قبله) ، أي : « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » والتام وماهم منها بمخرجين » وأما قوله تعالى : « الغفور الرحيم » فليس بتام لأن بعده « وأن » معطوفة على ماقبلها . (٥) .

ولذلك يصح في أول كتابه « القطع والائتناف » - بعد بسط مجموعة من المقدمات - بقوله : «فقد صار في معرفة الوقف والائتناف التفريق بين المعاني » .

الوسائل

ولكن ما الوسائل التي تجعل القاريء أو المتكلم يصل إلى التفريق بين المعاني ليعصم نفسه من الوقوع في الخطأ ، أولا ، وليصل إلى المفاضلة بين تلك المعاني ، ثانيا ؟

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٦ .

(٢) القطع والائتناف لوحة ٨ : أ .

(٣) هو نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة توفي سنة ١٦٩ هـ (طبقات القراء ٢ / ٣٣٠) .

(٤) مقرئ معروف توفى سنة ١٩٥ هـ روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء (طبقات القراء ١ / ٣٥٣ .)

(٥) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : أ .

ومن أجل هذا كله حدد النحاس الوسائل التي يستعين بها قاريء القرآن أو المتكلم بغير القرآن حتى يحققا الغايتين معا ويصلا إلى ذينك الهدفين .

فمعنى حديثه عن الأدوات التي يتسلح بها من يتصدى لموضوع « وُقف التمام » يؤكد مايجب ان يراعيه طالب هذا الفن وهو أن يعرف قوانين النحو لأنه إذا لم يعرف ذلك وقع في الخطأ والوهم ولم يستطع أن يفرق بين المعاني وخلط بين العذاب والرحمة . فقاريء الآية الكريمة : « يُدْخِلُ من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما » (١) لا ينبغي أن يصل « والظالمين » بما قبله ، بل يقف على « في رحمته » لأن الظالمين منقطع مما قبله منصوب باضمار فعل أي ويعذب الظالمين أو وأوعد الظالمين عذابا أليما (٢) .

فمعرفة النحو حاجة ملحة لمن أراد معرفة القطع والائتناف (٣) ليصل طالب هذا الفن إلى مجانبة الخطأ ويفرق بين المعاني فلا يخلط بينها .
ومن أدوات طالب هذا الفن معرفة القراءات وتوجيهها وتعليلها .

غير أنه لا يورد القراءات إلا إذا أوضحت « القطع والائتناف » فاذا لم تكون حاجة إلى ذلك فانه لا يوردها . وهذا واضح من تصريح النحاس حين بين سبب إيراد القراءات فى سورة الجن فقال : « وإنما ذكرنا كل ما بلغنا من القراءات في هذه السورة لأن من أراد أن يعرف القطع والائتناف فيها احتاج إلى معرفة القراءات » (٤) .

ومن هذه الأدوات اللغة ومادام القرآن نزل بلغة العرب ، فلابد من أراد أن يفهمه مجرد فهم أن يعرف هذه اللغة معرفة جيدة ويعرف أساليبها ، فكيف بمن أراد أن يعرف أسرار هذه المعاني ومراميها البعيدة ؟ والمفاضلة بينها ؟ .

ولهذا فان النحاس أكد هذ الناحية في أول كتابه (٥) ، فقال - وهو يتحدث عن « القطع والائتناف » - : وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين لأنه لا بد لهم من قراءة القرآن ليقرءوه على اللغة التي أنزله الله جل وعز بها وفضلها ومدحها فقال جل ثناؤه : « بلسان عربي مبين » (٦) .

---

(١) سورة الانسان أية ٣١ .
(٢) القطع والائتناف لوحة ٨ : ب .
(٣) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ ب
(٤) القطع والائتناف لوحة ٢٤٣ : ب .
(٥) القطع والائتناف لوحة ٢ : ب .
(٦) سورة الشعراء أية ٢١٩٥ .

ولكن ما مفهوم البيان عند النحاس ؟

مفهوم البيان - عنده - تفصيل الحروف (١) والوقف على ماقد تم والابتداء بما يحسن الابتداء به ، وتبيين ما يتجنب من ذلك .

والوسيلة التي نبين بها وقف التام ، ومالم يتم ؟ وما المعيار الذي نرع إليه في مثل هذه الحالات ؟ .

وما الوسيلة التي نبين بها ماتم ولم يتم فهي اللغة وقوانين النحو بمعناها الواسع الشامل الذي يقصد به معرفة الأساليب الصحيحة والمناهج القيمة التي يجب أن يراعيها قاريء القرآن والناطق بلغته ، وقد بينها في أول كتابه « القط والائتناف » وضرب لها الأمثلة . وأورد ما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه جاءه رجلان فتشهد أحدهما فقال : « من يطع الله جل وعز فقد رشد ومن يعصهما » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس الخطيب أنت . كان ينبغي أن تصل كلامك : « ومن يعصهما فقد غوى » أو تقف على « رسوله فقد رشد » (٢) .

ثم يعقب النحاس على ذلك بقوله :« فاذا كان هذا مكروها في الخطب وفي كلام الناس الذي يكلم به بعض الناس بعضا ، كان في كتاب الله جل وعز أشد كراهة »

وذكر عن رسل الله الحديث المعروف : « أنزل القرآن على سبعة أحرف . اقرأوا ولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بذكر عذاب ولا تختموا عذابا برحمة » .

واستنتج من قوله :« أنه ينبغي أن يقطع على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب وتفصل مما بعدها إن كان بعدها ذكر النار والعقاب » (٣) .

هذا إذا كانت الآية تتعلق بذكر الجنة والنار أو بذكر الثواب والعقاب .

ولكن الآيات ليس كلها على هذه الصورة ..فما المعايير والأسس التي تركن إليها ، ويمكن الرجوع إليها والاحتكام عندها دائما ، أي :

١ ـ ما المعايير التي تضبط مواطن وقف التام ؟ .

٢ ـ وما المعايير التي نحكم بها ما يمتنع من الوقف ؟

---

(١) الحرف في مفهوم القراء : ماوقع فيه الاختلاف من كلم القرآن سواء اكان حرفا في اصطلاح النحويين اسما أم فعلا . (ابن الفاصح : سراج القارىء المبتدى ١٤ .

(٢) القطع والائتناف لوحة ٦ : أ .

(٣) القطع الائتناف لوحة ٦ :أ .

الجواب . . إنها قوانين النحو . وهذا ما نجده في كتاب « القطع والائتناف » بحيث تكون تلك القوانين المرجع النهائي لبيان تلك الحالات وما يتفرع منها وتصبح هذه القوانين أداة المفاضلة بين المعاني ، وأساس تمييز الخطأ إن كان هناك خطأ في رأي ، وأساس الصواب إن كان الرأي صوابا .

ولكن بأى مفهوم استعمل النحاس النحو في هذا الكتاب ؟

إن المفهوم النحوي الذي ساد في هذا الكتاب هو « قانون السياق الجميل » المرتبط بالمعنى العام حيث يكون « أداة معيارية اللغة » وأساس المفاضلة بين أسلوب يصح الوقف عنده أو يجب . أسلوب لا يصح الوقف عنده لأن الوقف عنده يعارض قانوناً من تلك القوانين المتصلة بمعيارية اللغة وهذه القوانين هي التي استندب إليها « نظرية النظم النحوي عند النحاس » .

المعيارية النحوية

قدم النحاس المعايير النحوية في أول كتابه « القطع والائتناف » حتى وصل إلى سورة الأنعام . فقال : « قد ذكر ما تقدم من السور تَقَصّ وشرح فكان في ذلك دليل على كثير مما يرد من القطع التام والحسن والكافي والصالح ، فقس على ذلك ، فاني لو أتيت بذلك إلى أخر الكتاب ، على تقص ، طال فرأيت ألا أذكر الواضح المفهوم لمعنى واذكر المشكل وما لا يفهم إلا بفكر ونظر .. (١)

وفيما يلي أمثلة تتضمن المعيارية النحوية :

١ - قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » (٢) .

وعند هاتين الآيتين الكريمتين أورد النحاس ما يأتى : « قال يعقوب (٣) : ومن التام الكافي ولا تلبسوا الحق بالباطل » قال أبو جعفر (٤) وهذا غلط بينّ ، ليس بتام ولا بكاف لأن « لا تكتموا » لا يخلو من إحدى جهتين ، إما أن يكون معطوفا ولا يتم الوقف على ماقبله ، وأما أن يكون جوابا فيكون القطع على ماقبله أبعد .

والجواب كما قال الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فلو وقف على « لاتنه عن خلق » لفسد المعنى ، وكذا قول العرب : « لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، ولو وقف على « لا تأكل السمك » لفسد المعنى على أن « يعقوب » لما ذكر « لا تلبسوا الحق » بالبابطل تام كاف قال : ثم يجعل الكتمان جوابا ، فجاء بأبعد الوجهين فالوقف الكافي :وأنتم

(١) القطع والائتناف لوحة٧٩ : ب .

(٢) سورة البقرة، الايتان : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) هو يعقوب الحضرمي أحد القراء العشرة توفى سنة ٢٠٥ هـ .

(٤) ابو جعفر هو النحاس .

تعلمون » لو ليس بتام ، لأن ما بعده معطوف عليه . وكذا « وأقيموا الصلاة وأتو الزكاة » والتام «واركعوا مع الراكعين » (١) .

ب - قوله تعالى :

« قال إنه يقول : إنها بقرة لا فارض وبكر عوان بين ذلك . ففعلوا ما تؤمرون » (٢) .

قال نافع : فارض ولا بكر ، تمام وكذا قال الفراء .

قال ابوه جعفر وفي الحديث أن سعيد بن جبير (٣) كان يقف عند (٤) « وبكر » وكذا عن مجاهد (٥) وعيسى بن عمر (٦) ويعقوب وخالفهم الأخفش فقال : التام عوان بين ذلك : قال : أراد لا صغيرة ولا كبيرة ، ولكنها عوان بين ذلك وأنشد :

جلوس لدى الأبواب طلاب نائل عوان من الحاجات أو حاجة بكرا

قال ابو جعفر مع مخالفة الاخفش هذه الجماعة ، قد جاء بوجه بعيد ، ومن النحويين من يقول أخطأ ، وجاء بما لا يجوز ألبتة ، وذلك أنه جعل « عوانا » من نعت « بقرة » وذلك بمنزلة المضمر ، فاذا كان التقدير أنها بقرة عوان بين ذلك ، أي : بين الفارض والبكر فقد قدم المضمر على المظهر (٧) .

جـ - قوله تعالى : « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين أمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيرا ويهدي به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين » (٨) .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢١ : ب - ٢٢ : أ .

(٢) سورة البقرة أية ٦٨-

(٣) سعيد بن جبير هو الامام المقرئ المفسر قرأ على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ (طبقات القراء ١/٣٦ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) مجاهد بن جبر مقرئ ومفسر قأ على ابن عباس وقرأ عليه عبد الله بن كثير وعبد الرحمن بن محيص سوأوب عمر و بن العلا وتوفي سنة ١٠٤ هـ (طبقات القراء ٢ / ٤٢) .

(٦) عيسى بن عمر الثقفي النحوي المشهور وهو مقرئ أيضا قرأ على الحسن البصري ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ (طبقات القراء ١/٦١٣ وتراجم النحاة) .

(٧) القطع والائتناف لوحة ٢٢ : ب .

(٨) سورة البقرة أية ٢٦.

قال أحمد بن موسى : مثلا : تمام . قال أحمد بن جعفر (١) لو وقف واقف على « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما » ، جاز وكان حسنا . وقال الأخفش (٢) : إن شئت وقفت على : « مثلا ما بعوضة » قال أبو حاتم (٣) : والتمام « فما فوقها » . قال أبو جعفر هذا أصح الأقوال . وإما أن تقف على « مثلا » فخطأ ، لأن « ما » إن كانت زائدة للتوكيد فالابتداء بها ، وإن كانت بمعنى الذي ورفعت « بعوضة » فهي بدل من « مثل » وكذا إن كانت نكرة . ومثل ومثل واحد . والمعنى ـ والله أعلم ـ إن الله لا يخشى أن بين شبها . ومثل ومثل مثل شبه وشبه ، كما قال (٤) .

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيده إلا الأباطيل

والقطع على « ما » حسن . ولكن الائتناف بما بعده قبيح لأنه منصوب مردود على ما قبله وبمعنى : ما بين البعوضة . والوقف « ما بعوضة » ليس بتام لأنه متعلق بما بعده (٥) .

قال أبو حاتم : « فأما الذين آمنوا » ليس بقطع كاف لأنه لم يأت الخبر . « فيعلمون أنه الحق من ربهم » قطع حسن لأن « أما » لاتحتاج إلى تكرير ، وإنما يأتي بعدها ما هو معطوف عليها « وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا ...» قال أبو حاتم : هذا الوقف (٦) وأما الفراء فليس هذا عنده تاما ، والتمام ـ عنده ـ ويهدي به كثيرا » .

قال أبو جعفر الأولى في هذه الآية ما قاله أبو حاتم ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا » . ثم قال الله جل وعز « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » (٧) .

فقد قاس آية البقرة على آية المدثر لأن السياقين متشابهان كل التشابه . ومادام القطع التام في آية المدثر عند قوله تعالى : « مثلا » من قوله : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا» . وعلة الوقف أنها نهاية حكاية قولهم .. وبعده : « كذلك يضل الله ... الآية ، وهو

---

(١) احمد بن جعفر هو أبو علي الدينوري ختن ثعلب ، نحوي معدود في المصريين توفى سنة ٢٨٩ هـ (طبقات النحويين واللغويين /٢٣٤) معجم الأدباء ٢٣٩/٢ وأنباه الرواة /٣٣ والبغية ٣٩٧/١)

(٢) أي الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفي ٢١٥ هـ .

(٣) هو أبو حاتم السجستاني اللغوي المعروف وهو مقرئ أيضا له اختيار في القراءة وتصنيف (طبقات القراء ٣٢٠/١ وتراجم النحاة)

(٤) البيت لكعب بن زهير من قصيدته « البردة »

(٥) القطع والائتناف لوحة ١٨ : أ ـ ب .

(٦) أي الوقف التام بدليل ما بعده .

(٧) سورة المدثر آية : ٣١ .

منقطع مما قبله انقطاعا تاما لأنه ليس من حكايتهم بل هو كلام مستأنف . فبذا فان الوقف عند قوله تعالى : « مثلا » تام ، قياسا على آية المدثر .

حالات يمتنع الوقف عندها ولا يحسن

أما في هذه الحالات فتظهر قوانين علم النحو بأجلى مظاهرها كما تظهر المعيارية النحوية لتطبيقات « نظرية النظم النحوي » عند النحاس .

وأهم الحالات التي دارت في كتاب « القطع والائتناف » ومثلت هذه النظرية هي :

١ : حالة المبتدأ والخبر :

سورة الفاتحة آية :٢ : « الحمد لله رب العالمين »

قال النحاس : لا يقف على الحمد لأنه مبتدأ لم يأت خبره (١)

٢ : حالة النعت والمنعوت :

سورة الحجر الآيتان : ٩٥ ـ ٩٦ « إنا كفيناك المستهزئين ، والذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » .

قال النحاس : زعم العباس بن الفضل أن الوقف الكافي : « إنا كفيناك المستهزئين » . وعقب النحاس عليه بقوله : وهذا غلط لأن « الذين » نعت للمستهزئين (٢) .

٣ : حالة الموصول والصلة :

سورة البقرة آية : ٢٧ : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » .

قال النحاس هذا ليس بقطع كاف لأن ما بعده معطوف على ما في الصلة فهو داخل في الصلة ، وما بعده هو قوله تعالى : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » (٣) .

٤ : الحال ومتعلقاته :

أ ـ سورة ابراهيم الآيتان ٤٩ : ٥٠ : « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد . سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار » قال النحاس : « مقرنين في الأصفاد » ليس بتام لأن « سرابيلهم من قطران » في موضع الحال . « وتغشى » معطوف عليه والتام : « إن الله سريع الحساب » (٤) .

---

(١) القطع والائتناف لوحه ١١ : ب .

(٢) القطع والائتناف لوحه ١٢٤ : أ .

(٣) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب .

(٤) القطع والائتناف لوحة ١٢٣ : أ .

ب ـ سورة الحجر الآية : ٤٧: « ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » .

قال النحاس : « من غل » تمام عند نافع وتابعه على ذلك العباس بن الفضل ، وخولفا في ذلك لأن « إخوانا » منصوب على الحال مما قبله (١)

٥ : المستثنى والمستثنى منه :

أ ـ سورة المؤمنون

قال النحاس : « يجوز الوقف على كل آية ـ أي في سورة المؤمنون ـ إلا على « والذين هم لفروجهم حافظون » (الآية : ٥٠) لأن ما بعده استثناء وهو قوله تعالى : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين » الآية ٦ (٢) .

ب ـ سورة النساءآية ٦٦ « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ...» . .

وهنا أورد النحاس رأي الامام يعقوب الحضرمي في الوقف الكافي في هذه الآية . فهو يرى أن الوقف الكافي هو قوله جل وعز « ما فعلوه » .

وعقب عليه النحاس بقوله : هذا تخليط لا يجوز الوقف على « ما فعلوه » كما لا يجوز الوقف على قوله جل وعز : « فلبث فيهم ألف سنة » (٣) .

والسبب في هذا الامتناع أن بعد قوله تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة » استثناء هو قوله تعالى : "إلا خمسين عاما » (سورة العنكبوت الآية ١٤) . وكذا لا يجوز الوقف على « مافعلوه » لأن بعده استثناء هو قوله جل وعز : « إلا قليل منهم » . وهذا ـ لعمري ـ قياس بديع ...

٦ : المعطوف والمعطوف عليه :

أ ـ سورة البقرة آية ٤٢ : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق و أنتم تعلمون » .

قال النحاس : « وأنتم تعلمون » وقف كاف ، وليس بتام لأن ما بعده معطوف عليه ، وكذا ,,وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والقطع التام « واركعوا مع الراكعين » (٤) .

ب ـ سورة الذاريات الآيات ١ ـ ٦ :

« والذاريات ذروا . فالحاملات وقرا . فالجاريات يسرا . فالمقسمات أمرا . إنما توعدون لصادق . وأن الدين لواقع » .

قال النحاس : « والذاريات خفض بواو القسم . وما بعده معطوف عليه . فجواب القسم : إنما

---

(١) القطع والائتناف لوحة ١٢٤ : أ .

(٢) القطع والائتناف لوحة ١٥٢ : أ ـ ب .

(٣) القطع والائتناف لوحة : ٦٢ : أ .

(٤) المرجع لوحة ٢٢ : أ .

توعدون لصادق» . ثم عطف على الجواب ، « وإن الدين لواقع » فهاهنا التام (١) .

حالات الاتصال السياقي :

ووضع النحاس أيضا مجموعة من حالات الاتصال السياقي والجملي التي يقف عندها القارئ لكمال اتصالها ، ويتجنب الوقف على ماقبلها سواء أكان كمال الاتصال بالتوكيد أم بالبدل أم بالعطف ، أم بسياق آخر يتم به المعنى كليا ...

فعندما أورد قوله تعالى : آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون . كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله » (الآية ٢٨٥ من البقرة) .

أورد بعده قول يعقوب : ومن الوقف التام « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » قال : والمؤمنون » رفع بالابتداء لا بفعلهم ثم قول الأخفش سعيد : وأما « آمن الرسول » فالتام فيه « «والمؤمنون » ثم عقب على الرأيين بقوله : هذا القول الأخير ـ أولى من الأول لأن واو العطف توجب أن يكون الثاني داخلاً فيما دخل فيه الأول إلا أن تقع حجة بغير ذلك . وأيضا فإن بعده : « كل آمن بالله » ولم يقل كلهم فيكون توكيدا (٢) .

فالوقف التام عنده « والمؤمنون » و « كل آمن بالله » وهو مبتدأ وخبر .

وفي الحديث عن الأئمة (٣) في سورة الفاتحة ، جمع كثيرا من هذه الحالات فقال : « القطع على اسم الله جائز إلا أن الائتناف بما بعده لا ينبغي لأنه نعت . وكذا الوقف على « الرحمن » والتمام «بسم الله الرحمن الرحيم » . ولا يقف على « الحمد » لأنه مبتدأ لم يأت خبره . والوقف على اسم الله جائز إلا أنه لا ينبغي أن يفعل ذلك لأن قوله : « رب العالمين الرحمن الرحيم (٤) مالك يوم الدين » نعت . وهذا التام . ولا يقف على « إياك » لأنه موضع نصب بنعبد ولا على نعبد » لأن ما بعده معطوف عليه . والتام « نستعين » . ولا يقف على « اهدنا » لأن « الصراط » منصوب به . ولا على الصراط » لأن « المستقيم » نعت له . ولا على « المستقيم » لأن بعده بدلا : ولا على « الذين » لأن ما بعده من صلته ، ولا على « عليهم » لأن « غير » بدل من « الذين » أو نعت ... والتام « ولا الضالين» (٥) .

---

(١) نفسه لوحة ٤٤ : ب .

(٢) نفسه لوحة ٤٤ : ب .

(٣) الأئمة : جمع تمام أي وقف التام

(٤) القطع والائتناف لوحة ١١ : ب ـ ١٢ : أ .

(٥) أوضحتها بالتفصيل في كتابي « الدراسات اللغوية والنحوية في مصر ، حتى نهاية القرن الرابع الهجري » ويطبع الآن بالقاهرة .

وكل هذه الحالات ـ وأمثالها ـ توضح كل الأيضاح أن اهتمام النحاس في كتاب « القطع والائتناف » منصب على السياق الجملي المرتبط بالنظم النحوي ارتباطا كليا ، بعيدا عن القضايا الشكلية والاحتمالات الكثيرة التي تجدها في « نظرية الاحتمالات النحوية » عنده حيث تتساوى هذه الاحتمالات في الصحة . أما في هذا الكتاب فهناك حالة واحدة يصح معها « وقف التمام » وليس هناك غيرها ولا ما يعادلها . ولهذا ظهرت عنده قضايا جديدة مرتبطة بهذا المنهج الجديد ، فهو يرفض القراءة التي لا تتفق مع قراءة الجمهور حيث تتناسب مع قراءة الجمهور حيث لا تناسب الأخيرة وقف التمام ، وحتى لو كانت تلك القراءة المرفوضة لأحد الائمة المشهورين كالكسائي (١) وهو يرفض الوجه الضعيف في العربية أو الذي لا يتفق عليه أكثر العلماء مصرحا بأن كتاب الله « إنما يحمل على الأشهر » (٢) لا على الأضعف من لغة العرب . وهذه اللهجة لم تألفها حتى في كتابة « إعراب القرآن » ولا في « شرح القصائد التسع » ففيهما تكثر الاحتمالات ، وتتعدد الأوجه ويكثر الاهتمام بالاختلافات النحوية الجزئية .

فهو في كتابه « القطع والائتناف » قد أعطى صورة واضحة « لنظرية مبكرة في النظم » أساسها علم النحو وغايتها المفاضلة بين الأساليب والمعاني النحوية لتصل في النهاية إلى حالة واحدة هي أفضل الحالات التي يصح معها النظم الكلي الذي تأتلف أجزاؤه وترتبط معانيه ارتباطا تاما فترفض معه الاحتمالات لأنها لا تحقق هذا الارتباط الكلي . الذي سماه « القطع التام » .. وكل الحالات الأخرى لا تحقق مثل هذا « القطع » وإنما تحقق لونا آخر أو حالة أخرى هي حالة القطع الكافي أو الصالح أو الأحسن . وهذا معناه أنه كلما اختلف بناء الجملة اختلفت حالة الوقف ، ومنها حالة « امتناع الوقف » كل ذلك وفق القوانين النحوية التي تتضمنها لغة القرآن .

وقبل أن انتقل إلى القسم الثالث والأخير لابد أن أشير إلى أن النحاس مسبوق ببيان بعض جزئيات النظرية ومسبوق بقسم من التعليلات ، وفضله ينحصر في إضافاته الرائدة وفي هذا التكوين الكلي لنظرية النظم بكل أبعادها : من حيث المنهج العام والأسلوب والجزئيات المرتبطة بمنهجه . وهذا هو أهم شيء ولهذا ناقش كثيرا من الجزئيات والتعليلات التي نقلها ورد كثيرا منها لانها لا تخضع لمنهجه ولا ترتبط بهيكله العام اتصالا كليا .

---

(١) القطع والائتناف لوحة ٢٤٧ : ب .

(٢) القطع والائتناف لوحة ٢٢٨ : أ .

القسم الثالث

هل أثرت نظرية النحاس في نظرية عبدالقاهر الجرجاني ؟

والسؤال الذي يرد هنا : هل أثرت « نظرية النظم النحوي » عند النحاس (المتوفي ٢٢٨ هـ) في (نظرية النظم) عند عبدالقاهر الجرجاني المتوفي (٤٧١ هـ) وهو مسبوق بالنحاس من حيث الزمن ؟

إن الموازنة بين النظريتين من حيث الوسائل والغايات والتفاصيل هي التي تقرر الجواب ...

١ ـ من حيث الوسائل :

فقد جعل عبدالقاهر قوانين النحو وأصوله هي أساس المفاضلة بين المعاني وأساس الخطأ والصواب ، ومحصول ذلك أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً أو مفعولا ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالا أو تمييزا (١) ..

وهذه الوسيلة هي وسيلة النحاس للوصول إلى أساس المفاضلة بين المعاني .. بل من أول الوسائل ، والحالات التي بسطناها والنصوص التي نقلناها من كتاب النحاس كافية للتدليل على هذا .

٢ ـ من حيث الغاية :

أما من حيث الغاية فان « عبدالقاهر الجرجاني جعل الغاية من نظريته « المفاضلة بين المعاني التي ينتظمها علم النحو » (٢) .

وتلك غاية النحاس من نظرية النظم النحوي ،غير أن الأول استعملها في الدلالة على إعجاز القرآن واستعملها الثاني في ضبط قراءة القرآن حتى يقرأ قراءة متفقة مع أفضل أساليب اللغة التي أنزل بها .

٣ ـ من حيث التفاصيل :

أما نقاط الالتقاء من حيث التفاصيل فهي :

أولا : أن عبدالقاهر جعل أساس نظريته أن تراعي قوانين النحو حيث تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ... أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه .

وهذه القوانين النحوية والحالات الأسلوبية هي أساس المعيارية عند النحاس .. وعليها مدار

---

(١) دلائل الاعجاز : ٤٤

(٢) دلائل الاعجاز : ٣٥

كتابه : « القطع والائتناف » ...

ثانيا : من الحالات التي جعلها عبدالقاهر أساسا للمعيارية النحوية هي أن تجيء باسم بعد تمام كلامك فتجعله صفة أو حالا أو بدلا ... والاهتمام بالاتمة وحالة الوقف التام وصلة الاسم - في حالات كونه صفة أو حالا أو بدلا بهذا الوقف التام من أهم القضايا التي اهتم بها النحاس في كتابه .

ثالثا : وليس هذا فحسب ، بل إن عبد القاهر استعمل عبارة « « الاستئناف في كتابة « دلائل الاعجاز » أكثر من مرة ، في موضوع واحد هو : « الفصل والوصل » وهي عبارة النحاس ، وجل السابقين له استعملوا عبارة « الوقف والابتداء » في هذا الموضوع أما هو فقد استعمل « القطع والائتناف » . فلو لم يتأثر عبد القاهر بالنحاس لاستعمل عبارة البلاغيين « الفصل والوصل » وهي العبارة التي عقد من أجلها الباب .

رابعا : وليس هذا فحسب ، بل إن عبدالقاهر وقف عند بعض الآيات في باب « الفص والوصل » وهي من موضوعات « القطع والائتناف » وكان يستطيع أن يقف على مئات الآيات أمثالها ، وهي « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » سورة البقرة اية ٦) . بل كان وقوفه عند الجزء الذي وقف عنده النحاس تماما . فقد وقف عند قوله تعالى : « لايؤمنون أنه توكيد لقوله تعالى : « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وأن معناها يتصل بالأول كما ترتبط الصفة بالموصوف والتأكيد بالمؤكد . (١)

وبناء على فهمنا لنظرية النظم النحوي عند الجرجاني نرى أنه يريد أن يقول : إن تمام الكلام هو « لا يؤمنون » ... وأنه يتصل بما قبله « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » تمام الاتصال ولذلك فصل بينه وبين ما بعده تمام الانفصال فلا يعطف عليه ، وتلك حالة من حالات ترك العطف التي بسط فيها عبدالقاهر القول في دلائل الاعجاز (٢) .

ومعنى هذا أن عبدالقاهر جعل تمام الكلام « لا يؤمنون » وهذا ما عبر عنه النحاس بكل وضوح حين قال : « والأولى أن يكون القطع « لا يؤمنون » ويكون كافياً (٣) .

الوسيلة واحدة والغاية واحدة والملامح والقسمات التفصيلية متشابهة في موضوع واحد ..

أليست هذه الدلائل كافية على تأثير نظرية النظم عند النحاس في نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني ؟

ولله الحمد في الأولى والآخرة .

وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) دلائل الاعجاز : ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) دلائل الاعجاز : ١٨٧ .

(٣) القطع والائتناف لوحة ١٤ : أ .

المراجع المساعدة

- إعراب القرآن . لأبي جعفر النحاس (مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول رقم ٨٨)
- بغية الوعاة : للسيوطي ، تحقيق أبي الفضل ابراهيم ط . القاهرة ١٩٦٤ .
- تاريخ علماء الاندلس : تأليف ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ)ط القاهرة ١٩٦٦ .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، تحقيق أبي الفضل ابراهيم ، ط . القاهرة ١٩٦٧م .
- دلائل الاعجاز : تأليف عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) مطبعة المنار ١٣٣١ هـ .
- رسالة « إعراب قول سيبويه في أول الكتاب : هذا باب علم ما الكلم من العربية » (مخطوط ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ ، بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا .
- شرح القصائد التسع المشهورات ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ، ط . بغداد ١٩٧٣م .
- طبقات القراء (أو غاية النهاية في طبقات القراء) ، لابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) . ط . مصر ١٣٥١ هـ .
- عبدالقاهر الجرجاني . للدكتور أحمد أحمد بدوي (سلسلة أعلام العرب)
- عبدالقاهر الجرجاني . للدكتور أحمد مطلوب .
- فهرسة بن خير الأشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) مطبعة قومش بسرقسطة ١٨٩٣ م .
- في الميزان الجديد . للدكتور محمد مندور .
- القطع والائتناف . لأبي جعفر النحاس . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات برقم ٥٧ ـ ٥٨ قراءات .
- لطائف الاشارات لفنون القراءات للامام القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) تحقيق الشيخ عامر عثمان والدكتور عبدالصبور شاهين ، ط . القاهرة١٩٧٢ م (الجزء الأول فقط) .
- اللغة العربية ، معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان ، ط . القاهرة ١٩٧٣م .
- المكتفي في الوقف والابتداء ، لأبي عمر عثمان بن سعيد الوالي (ت ٤٤٤ هـ) ، مخطوط مصور بمعهد المخطوطات رقم ٩١ قراءات .
- الناسخ والمنسوخ في القرآن . للنحاس ، ط . مصر ١٣٢٣ هـ .